

هَدِيَّةُ أَبِي دَكَاة

يقلم : أ. عبد الحميد عبد القصور

بريئة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى



المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر

القاهرة - مصر

تلفون : ٢٠٠٠٠٠٠

كان أبو دلامة شاعراً ظريفاً ، خفيف الظل محبوباً .. وكان
ذكياً يعرف من أين تؤكل الكتف ، يتكسب من شعره .. وكان
يمدح الخلفاء والأمراء ، ويعرف كيف ينال هداياهم
وعطاياهم ..

وقد عاصر أبو دلامة الخليفة المنصور ، فحضر
مجالسه ومدحه ونال عطايا .. فلما توفي المنصور ، تولى
الخليفة بعده ابنه المهدي ، وأقبلت وفود المسلمين من



أَنْحَاءَ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُتَرَامِيَةِ الْأَطْرَافَ ، لِمُبَايَعَتِهِ
بِالْخِلَافَةِ ..

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْوُقُودِ شُعْرَاءُ وَأَدْبَاءُ كَثِيرُونَ جَاءُوا لِمَدْحِ الْخَلِيفَةِ
الْجَدِيدِ ، وَتِلْ عَطَايَاهُ ، اَزْدَحَمَتْ بِهِمْ قُصُورُ الْخِلَافَةِ ،
وَضَاقَ وَقْتُ الْمَهْدَى عَنْ لِقَائِهِمْ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى قَصَائِدِهِمْ ..
أَمَّا شَاعِرُنَا أَبُو دُلَامَةَ ، فَقَدْ نَظَّمَ قَصِيدَةَ قَصِيرَةً ، أَتَتْ فِيهَا
عَلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاحِلِ ، وَذَكَرَ مَحَاسِنَهُ ، وَمَدَحَ
فِيهَا الْخَلِيفَةَ الْجَدِيدَ ..



وظل أبو دلامة يتردد على قصر الخلافة ، حتى يحظى بمقابلة
المهدي ، ليهنئه بالخلافة ، ويلقى على مسامعه قصيدته
العصماء ، لكن الحراس والحجاب لم يمكنوه أبدا من الدخول
عليه .. وبرغم ذلك لم يئس أبو دلامة ، وظل يتردد على أبواب
القصر في الصباح والمساء ، عسى أن يظفر بفرصة للقاء ..

و ذات يوم كان أبو دلامة مسرعا إلى قصر الخلافة ، وهو
يحمل الرقعة التي كتب فيها قصيدته - والتي كادت تبلى من
كثرة إمساكه لها ، وحرصه على حملها ، في الذهاب والعودة -
فراه بعض أصدقائه ، وهو يسرع الخطى ، فاقتربوا منه وأوقفوه .
فقال له أحدهم :

- إلى أين العزم يا أبا دلامة ؟ !

فقال أبو دلامة :

- إلى قصر الخلافة ..

وقال آخر متهكما :

- وماذا تعمل في قصر الخلافة ؟ ! هل عينوك خليفة بدل

الخليفة الراحل ؟ ! لقد عينوا ابنه المهدي ..

فقال أبو دلامة :

- بل كتبت فيه شعرا ، وسأشده إياه ..

وقال ثالث ساخرأ :

- وطبعاً تطمع في عطاء المهدي ؟!

فقال أبو دلامة واثقا من نفسه :

- بل أطمع في ثروة ..

فقال الأول :

- لا تشعب نفسك .. لقد مدحتك قبلك بشعر رائع



عندما كان أميراً لطبرستان ، وما فزنا منه إلا بالقليل ..

فقال أبو دلامة :

- ليس كل من نظم شعراً مداحاً ..

وقال الثاني :

- أنت شاعرٌ مخضرمٌ ، وتعرف كيف ومن أين تؤكل الكتف ..

فقال أبو دلامة :

- سوف تروون وتسمعون ، أنني سوف أفوز من وراء هذه

القصيدة بشروة تريحني من الكد والعمل طوال حياتي ..

وانصرف أبو دلامة إلى قصر الخلافة ..

وفي هذه المرة حاول الحراس والحجاب منعة من الدخول ،

كما حدث في المرات السابقة ، فخطف أبو دلامة سيفاً من

جراب أحدهم ووضعهُ على رقبته مهدداً بقوله :

- إن لم تسمحوا لي بالدخول على الخليفة قتلت بهذا السيف

نفسي ، فيقتلكم الخليفة بقتلي ..

فخاف الحراس أن ينفذ أبو دلامة تهديده ، ويحملهم

مَسئولة قتله أمام الخليفة .. وطلبوا منه الانتظار قليلاً ، حتى

يخبروا الخليفة بوجوده ..

وَأَسْرَعَ رَئِيسُ الْحُرَّاسِ إِلَى مَجْلِسِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ
مِنْ تَهْدِيدِ أَبِي دُلَامَةِ بِقَتْلِ نَفْسِهِ ، إِنْ لَمْ يُسَمَّحُوا لَهُ بِالْدُّخُولِ ،
فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ مِنْ طَرَافَةِ الْمَوْقِفِ وَقَالَ :
- أَدْخِلُوا صَدِيقَنَا أَبَا دُلَامَةَ فَوْرًا ..

فَلَمَّا مَثَلَ أَبُو دُلَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ حَيَّاهُ وَهَنَّاهُ
بِالْخِلَافَةِ ، فَأَمَرَهُ الْمَهْدِيُّ بِالْجُلُوسِ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :
- عَلِمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ تُتَشَدَّنِي شِعْرًا ..
فَقَالَ أَبُو دُلَامَةِ :
- نَعَمْ أَعِزُّ الْمَلِكِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ..



فقال المهدي :

— شوقتنا لسماعه ، فأنشد أبا دلامة ..

فبشر أبو دلامة الرقعة بين يديه ، وراح ينشد قائلا :

عيناى واحدة ترى مسرورة بأميرها جذلى وأخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوءها ما أنكرت ويسرها ما تعرف



فَيَسُوءُهَا مَوْتُ الْخَلِيفَةِ مُحَرَّمًا وَيَسْرُّهَا أَنْ قَامَ هَذَا الْأَرَأْفُ
 مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَا رَأَيْتُ وَلَا أَرَى شِعْرًا أَسْرَحُهُ وَآخِرُ يَنْتَفُ
 هَلَكُ الْخَلِيفَةِ يَا لَدِينِ مُحَمَّدٍ وَأَنَا كُمْ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ يَخْلَفُ
 أَهْدِي لِهَذَا اللَّهِ فَضْلَ خِلَافَةٍ وَلِذَاكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ تُزَخَرَفُ



فلما انتهى أبو دلامة من قراءة قصيدته ، التي حرص على
إلقائها بطريقة مؤثرة ، صفق له الحاضرون استحساناً وإعجاباً ..
وقال الخليفة المهدي :

— أحسنت والله وأجدت أبا دلامة ..

فقال أبو دلامة بتواضع واضح :

— هذا قليل من كثير ، كان يجب أن أضمنه قصيدتي يا مولاي ..
فقال المهدي :

— لقد أوجزت فأعجزت .. والآن سألني حاجتك أبا دلامة ..

فأمسك أبو دلامة بطنه ، معبراً عن شدة جوعه وقال :

— الطعام أولاً يا مولاي .. ثم الطعام .. ثم الطعام ... فأنا الآن
جائع ، وفي رأسي أفكار كثيرة مشوشة ، والجائع دائماً
لا يحسن ما يقول ..

فضحك المهدي وضحك الحاضرون ، حتى استلقوا على
أفبتهم من الضحك ، وقال المهدي :

— قد أمرنا لك بعشاء فاخر ، حتى تحسن
ما تقول ..

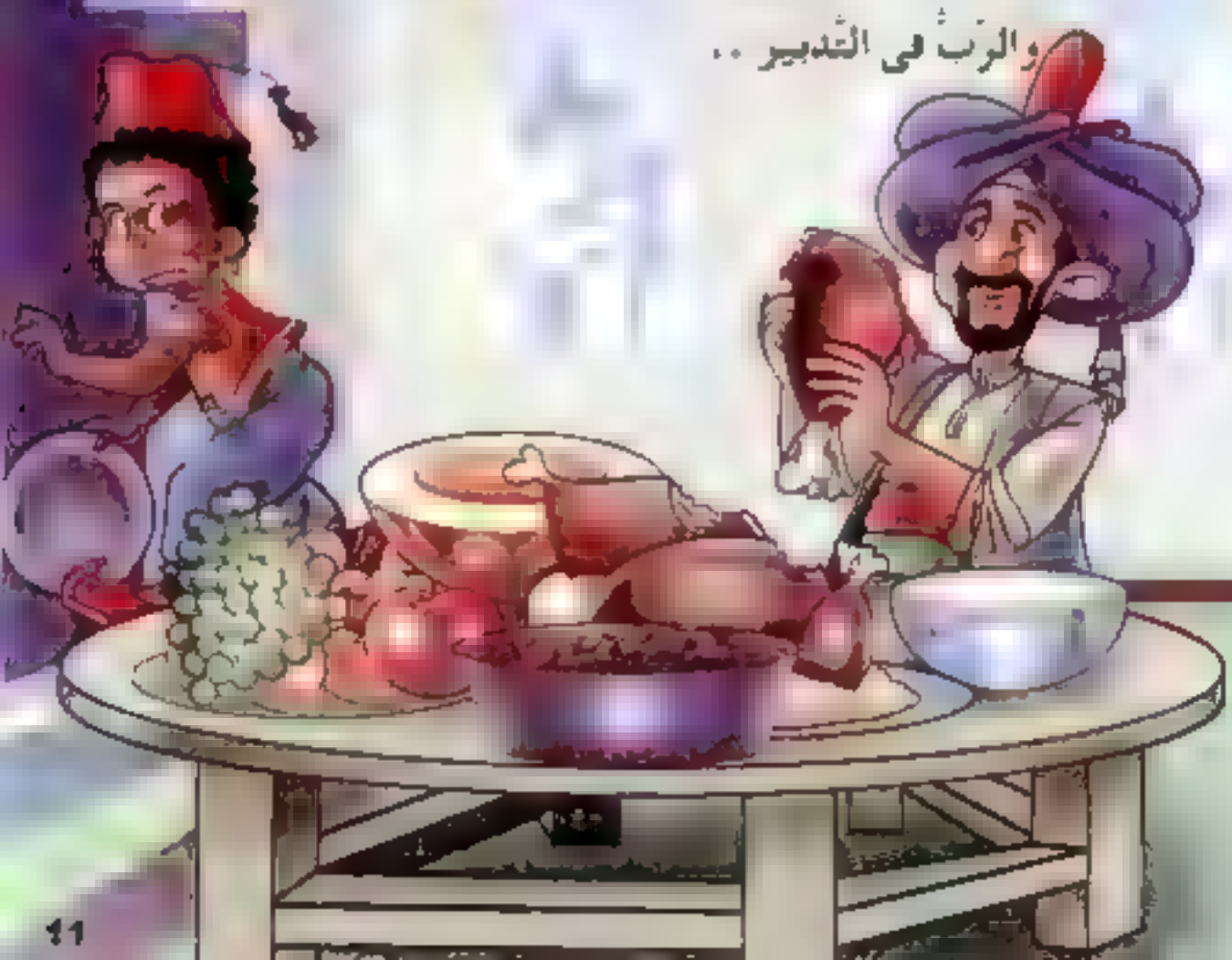
وأمر المهدي الطباخين أن يأخذوا أبا دلامة إلى خزان الطعام ،

وَأَنْ يَقْدُمُوا لَهُ أَفْخَرُ طَعَامٍ .. فلما جلس أَبُو دُلَامَةَ إِلَى الْحَوَانِ
وَرَأَى أَمَامَهُ مِنْ أَصْصَافِ الطَّعَامِ الْكَثِيرِ ، حَارَ مَاذَا يَأْكُلُ وَمَادَا يَدَعُ
حَاصَّةً مِنَ اللَّحُومِ ، فَرَاخَ يُمَسِّكُ دُجَاجَةً مُحْمَرَةً وَيَقْضِمُ مِنْهَا
قِصْمَةً .. ثُمَّ يَتْرُكُهَا وَيُمَسِّكُ فَحْدَ صَائٍ فَيَأْخُذُ مِنْهُ قِصْمَةً ، ثُمَّ
يَتْرُكُهَا وَيَتَحَوَّلُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَمَعَ كُلِّ قِصْمَةٍ كَانَ يُطْلِقُ عِبَارَاتٍ
يُشْجَعُ بِهَا نَفْسُهُ قَائِلًا فِي مَرَحٍ :

.. هَذِهِ حَتَّى أَحْسَنَ التَّفْكِيرِ .. وَتِلْكَ حَتَّى أَجْمَدَ التَّدْبِيرِ ..

وَهَذِهِ حَتَّى أَطْلُبُ الْكَثِيرِ .. وَتِلْكَ الْعَبْدُ فِي التَّفْكِيرِ ،

وَالرَّبُّ فِي التَّدْبِيرِ ..



وحلال ذلك كان الحدم والطباخون يراقبونه عن قريب
ويضجكون ..

فلما انتهى من طعامه . عاد إلى مجلس الحليفة ، متثاقلاً .
وقد ارتسمت على وجهه علامات الشوة . فقال له المهدى .
- قد أحسست الطعام ، فأحسن الكلام . والأد سلسي حاجتك .
فقال أبو دلّامة .

- أسألك يا أمير المؤمنين أن نهب لي كلباً ..



فَتَبَادَلُ الْحَاصِرُونَ فِي الْمَجْلِسِ بَظَرَاتٍ تُعْبِرُ عَنْ دَهْشَتِهِمْ
وَسُكْرِهِمْ لِهَذَا الطَّلَبِ الْعَرِيبِ ، وَقَالَ الْمَهْدِيُّ .

— أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَسَلِيَ حَاجَتَكَ ، فَتَقُولَ هَبْ لِي كَلْبًا ١٤

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

— يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلِ الْحَاجَةُ لِي أَمَّا ، أَمْ لَكَ أُنْتِ ١٥

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ

— بَلْ لَكَ أُنْتِ ..



فقال أبو دلامة :

- فإنني أسألك أن تهب لي كلب صيد

فقال المهدى سعيدا بهذا الطلب البسيط ، الذي لم يكلفه
كثيراً وقال :

- قد أمرت لك بـكلب من أمهر كلاب الصيد ..

فشكره أبو دلامة وعادرقصر الخلافة وهو يجرُّ كلباً من
كلاب الصيد الخاصة بالحليفة والمدرية تدريباً جيداً ..

فقابلته أصدقاؤه الشعراء ، فلما رأوه يجرُّ كلباً سخرُوا منه
وتسَدُّروا عليه ، وقال أحدهم مُتهكماً

- اهده هي الثروة الصَّحمة التي حميت قدماك حتى حققتها
من مدحك للحليفة ؟!

وقال آخر :

- كلبٌ صيدٌ " يا لها من ثروة صحمة حقاً !

فقال أبو دلامة

- يا أبلهان أنتم لا تعلمان ما سوف يجرُّه على ذلك الكلب
من ثروة .. ومن الحليفة أيضاً .

وقال ثالثٌ متهكِّمًا :

- لا بُدَّ أنْكَ قَرَرْتَ أنْ تصيدَ بذلكَ الكلبَ الثُّمُورَ والسُّباعَ ،
وتبيعها للحليمة .

فتركهم أبو دُلَامة وانصرف . وفي اليومِ التَّالِيِ توجَّهَ إلى
قَصْرِ الحليمة ، فلَمَّا مثلَ بَيْسِ يَدَيْهِ قالَ
- يا مَوْلَايَ ، قد وهبَتِي كَلْبَ صَيْدٍ .



فقال المهدي :

— هذا بئاء على طلبك ، وتلبية لرغبتك ..

فقال أبو دلامة :

— يا أمير المؤمنين ، هب أسى حُرِّحتُ للصَّيد ، في شعاب
الجبال وهجير الصحراء ، فهل أَعْدُو على قدمي ، ويصيبني من
الأذى ما قد يتسبب في موتي ، فتُحرم من أسى وشعري ؟^{١٤}

فصحك الخليفة من طرفه وقال

— قد وهبتُ لك جوادًا ..

فشكّرهُ أبو دلامة وانصرف .. وفي هذه المرة حرج من باب
القصر مُمتطيا صهوة جواد من أفصل حياض الخليفة ، وكذب
الصَّيد يَغْدُو حلقه .. ، فلما رآه أصدقاؤه سَحَرُوا منه وتندروا
عليه كعادتهم معه ..

وقال أحدهم مبهكما

— ما هذا يا أبا دلامة ؟^{١٥} جوادٌ مره واحد ، وقد عهدتُكَ

تَرْكَبُ حمارًا ؟^{١٦}

وقال آخرٌ مُندرا

— لقد تقدّمتُ خطوة ، بل خطوات من أين لك هذا الجواد ؟^{١٧}

وقيل أن يعيب أبو دلامة . ردّ أحدهم قائلا

— وما صاده بالكلب ..

فقال أبو دلامة .

— يا حمقى ، بل صدته بدكاني من اسطبل الحليفة .

فقال أحدهم متهمًا .

— لعنه جرء من الثروة ، التي تطمع فيها ..

فتركهم أبو دلامة وانصرف .. وفي اليوم التالي

توجه إلى مجلس الحليفة ، وبادره قائلا



– يا أمير المؤمنين ، قد وهبتي كلب صيد يقوم باقتصاص
الفرائس ، ووهبتي جواداً أعدو به حلف الفرائس .

فقال المهدي :

– هذا بناء على طلبك ورغبتك

فقال أبو دلامة :

– لكك لم تهبني يا مولاي من يقوم على رعاية الكلب

والجواد وإطعامهما ..



فقال المهدي :

.. قد وهبتك علماً يقوم برعاية الكلب والجواد ..

فشكره أبو دلامة وانصرف . وفي هذه المرة حرج من باب

القصر ممطياً صهوة الجواد يتبعه علماً و كلبٌ صيد ..

وعندما رآه أصدقاء هذه المرة ، لم يستطيعوا التدر عليه ،

كما حدث في المرات السابقة ، برغم أنهم لم يروا حتى الآن أي

أثر ملحوظ للثروة المزعومة ، التي وعدهم باقتناصها من الخليفة .



واكتشفوا بأن قالوا . إنيهم يتظرون على أحر من الجمر ،
فتركهم أبو دلامة وأنصرف ..

وهي اليوم التالي توجه إلى قصر الخلافة ، ودخل على المهدي
قائلاً :

- يا أمير المؤمنين ، قد وهتني كلبا و...

فقاطعه المهدي قائلاً :

- أعلم .. كلبا وعلاما وجوادا ..

فقال أبو دلامة :

- هب أني ركبتي حواذي ، واصططحت الكلب والعلام في
رحلة صيد .. وهب أني صدت صيدا وأنيت به إلى الدار ، فمن
يقوم بتنظيفه وطهيه ، وأنا رجل عزب لا زوجة لي . كما يعلم
مولاي ...

فضحك المهدي وقال

- قد أمرت برواجك على بفتي الخاصة ، حتى تجد من تطهو
لك طعامك . يا حاجب

فقاطعه أبو دلامة قائلاً :

- لا .. انتظر يا مولاي .. لي مطلب أحر صغير ..

فقال المهدي :

- تكلم .. اطلب ..

فقال أبو دلامة :

- هب أنني تزوجت على نفقتك يا مولاي ، وأحضرت زوجتي ،

فأين تقيم ، ومتزلي صغير جداً ، ولا يستعنا معاً ، فما بالك

بالعيال ؟



فضحك المهدي وقال :

- قد أمرت لك بمنزل كبير ، يسعك ويسع زوجتك وعيالك ..

فقال أبو دلامة :

- هب أنبي تزوجت وأحضرت زوجتي إلى المنزل ، فمن يقوم

على خدمتها في هذا المنزل الكبير ؟!

فقال المهدي :

- قد أمرت لك بجارية تقوم على خدمة زوجتك ..

فقال أبو دلامة :

- أكرم الله أمير المؤمنين كما أكرمني ..

فقال المهدي :

- هل لك من حاجة أخرى يا أبا دلامة ؟!

فقال أبو دلامة :

- يا مولاي ، قد أمرت بتزويجي ، فصيرت في عنقي جمعا

من العيال ، فمن أين لي ما أطعم به هذا الجيش من العيال وأهملهم ؟

فضحك المهدي هذه المرة ، حتى استلقى على قفاه وقال :

- قد حملتني همك وهم عيالك الذين لم يأتوا إلى الدنيا ،

وكل ذلك من أجل أبيات من الشعر ... قد أمرت لك بعشرين
ألف درهم ، وبستان من أجود الأراضي مزروعا بالمحاصيل
والخضر والفاكهة ، حتى تنفق على عيالك ..
فقال أبو دلامة :

— أكرم الله أمير المؤمنين ، كما أكرمني وبارك في عمره ..



فقال المهدي :

- هل لك في حاجة أخرى ؟

فقال أبو دلامة :

- لا ..

فقال المهدي :

- إذن زوجوه وأعطوه كل ما أمرت له به ، ولا تعد إلى ثانية ..

فقال أبو دلامة :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قوم لقييل : اقعدوا يا آل عباس ..

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم

إلى السماء فأنتم أكرم الناس ..

(تمت)